

الدعاية السياسية فى العصر الأموى

نشأتها وتطورها

تمهيد :

انقضى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وتبعه عهد الخلفاء الراشدين ، وكان فى حقيقته امتدادا لعهد صاحب الرسالة .. ولم يعرف التراث الإسلامى خلاله الدعاية من جانب السلطة . ولم يعرف الحاكم الذى يجعل من وظيفته القيادية منطلقا أساسيا للدعاية لشخصه كما لم يستطع التاريخ أن يفسر حركات أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب بأنها دعاية .. ذلك أن عهد الخلفاء الراشدين كعهد صاحب الرسالة كان يعتمد على الإعلام وليس على الدعاية .. ومن ثم نظر التاريخ إلى صدر الإسلام على أنه العصر الذهبى لهذه الأمة الإسلامية وذلك من حيث نقاء العقيدة واستقامة الطريقة . بل إن الدعاية على العكس من ذلك عرفت كأسلوب من أساليب مواجهة السلطة ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان ، حيث جدت أساليب جعلت المسلمين يجدون فروقا بين الحياة المثالية التى نعموا بها فى ظلال العهد الأول للإسلام وبين الحياة الواقعية التى يعيشون فيها .. وكان من أهم أثر هذا أن استعلن التذمر ودبت الفتنة وسخط كثير من المسلمين حكم الخليفة عثمان (٢٥) .

ومن أجل هذه الظروف ونعنى بها ظروف المعارضة التى أدت إلى قيام الثورات ظهرت الحاجة ماسة إلى الدعاية . ولم تكن من جانب عثمان لتبرير مواقفه التى سخطه عليها كبار الصحابة وإنما كانت من جانب بعض الصحابة وأبناء الصحابة وقد انتشروا فى مصر والشام وقاموا فيها وفى غيرها من الأقطار بهذه الدعاية

الخطيرة وهي الدعاية التي قتلت عثمان ابن عفان : هي وحدها
المسنولة عن قتله (٢٦١).

وكان للدعاية السياسية في طور النشأة خصائص هي :-

١. اعتمدت على اختلاق الوقائع وتشويه الحقائق
٢. استفادت من التقاليد العربية التي لا تعرف سوى لغة الحق ومنطق الإيمان في استقطاب من استقطبتهم من المسلمين .
٣. استفادت من المقارنة بين السياسية الرشيدة التي سار عليها الشيخان أبو بكر وعمر . وهي السياسة المبنية على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحددان عنها قيد أنملة .. وبين السياسة التي سار عليها عثمان رضوان الله عليه والتي فرضتها الظروف المتجددة للدولة الإسلامية واعتقد هو أن مصلحة المسلمين تتحقق بها .
٤. استثارة الخلاف حول مشكلة الإمامة أو الخلافة واستثارة النفوس لمطلعة نحوها من منطق ديني واستحثاثها للنهوض بمسئوليتها والعودة بالأمة إلى سيرة الراشدين أبي بكر وعمر . وبهذه الخصائص التي اتسمت بها الدعاية في هذه الفترة المبكرة تحدد هدفها في العمل على تكتيل القوى العاطفية والمصالح الفردية للأفراد بقصد خلق حالة من التشبث الذهني والغموض الفكري الذي يسمح لها بتسهيل عملية الإقناع بالأفكار التي تروج لها أولاً ثم بإحداث استجابات معينة بخصوص موقف فئة من المسلمين من خلافة عثمان .

وكان الشخص الذي تحدت على يديه هذه الخصائص ووجه الدعاية لتحقيق أغراضها والتي نتج عنها مقتل عثمان والصراع السياسي فيما بعد هو عبد الله بن سبأ .. فهو الذي ألقى جذوة الصراع ووجهة المعارضة نحو الدعاية السياسية وبذر بذور الفتنة وظل بها يذكيها حتى اشتعلت . قال عنه ابن تيمية إنه أول من ابتدع الرفض .. وهي حميرى يهودى من أهل صنعاء وأمّه أمة سوداء ولذلك يقال له : ابن السوداء .. وكان ممن غلت مراجل قلوبهم

بيغض الإسلام وأهله وعجزوا عن محاربته جهارا .. فلم يجد فرصة لحرب الإسلام الا أن يعلن إسلامه ويوطن الكفر والتفاق والحقد للإسلام .

وقد اذتم لتنفيذ أحقادهم فرصة سماحة الخليفة عثمان رضى الله عنه ولين جاتبه وحفته لدماء المسلمين وما استكره عليه بعض الناس . فأظهر إسلامه وورعه وغيرته على دين الإسلام والتفانى فى الدفاع عنه وجعل يتنقل فى بلاد الإسلام يوجب فيها نار الفتنة ضد الخليفة عثمان رضى الله عنه .

منطلقات الدعاية السبئية :

وكان للدعاية السبئية منطلقات ثلاثة لتحقيق أغراضها وهى :

١ - المنطلق العاطفى :-

لما كان المسلمون يحبون نبيهم أكثر مما يحبون أنفسهم .. جاءهم عبد الله بن سبأ من الجهة التى بألفونها ، وصار يصنع لهم الكلام فى تعظيم الرسول وأهل بيته .. ولذلك نادى بالرجعة وكان يقول لهم .. عجب من يقول برجة المسيح ولا يقول برجة محمد ويقول : عجا لكم أيها المسلمون يكون فيكم أهل بيت نبيكم ثم يقصون عن أمركم . إلى ما يماثل هذا الكلام الذى يسهل قبوله لأنه جاءهم من قبل تعظيم نبيهم ورفع مقامه على سائر الأنبياء ثم استهجان ترك آله وإقصانهم عن أمر خلافتهم .

وقد روج لهذه الفكرة أثناء إقامته بالبصرة .. وعندما طرد منها . ونزل مصر زاد عليها أنه كان لله ألف نبي ولكل نبي وصي وكان على وصي .. ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء .. ثم قال .. من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ووثب على وصية على وتناول أمر الأمة .. ثم قال بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق .. وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتهموا فى هذا الأمر فحركوه وابدعوا بالطعن على أميركم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتستميلوا الناس وأدعوهم إلى هذا الأمر (٢٧) .

٢ - المنطلق النفسى :-

وقد اتخذ عبد الله بن سبأ هذا المنطلق لاجتذاب الأفراد الذين فى نفوسهم من عثمان .. وقد وجد ضالته فى مصر .. حيث يقيم فيها كثير من الذين يخالفون عثمان .. فتوجه إليها ونظاير بالعلم والتقوى حتى افتنن به الناس فبدأ يروج لمذهبه ومسلكه ونجح فى اجتذاب محمد بن ابي حذيفة " وكان يتيما ربي فى حجر عثمان . وعندما ولى عثمان سألته عملا فلم يوليه .. وسمح له بالخروج إلى مصر وجهزه من عنده وحمله وأعطاه (٢٨) . فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغير عليه بعد أن منعه الولاية . كما اجتذب إليه " محمد بن أبى بكر وكان من أشد الناقمين على عثمان وذلك أنه لزمه حق فأخذه عثمان من ظهره . ولم يدهن .. كما كان طامعا فى الولاية (٢٩)

أما فى المدينة فلم يبذل جهدا كبيرا فقد كان بها ناقمون على سياسية عثمان وخاصة باقى أعضاء مجلس الشورى وهناك من هو حاقق على عثمان لأسباب تخصه .. وقد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك . وكانت تكفى الكتب التى يرسلها السبئيون من الأمصار المختلفة إلى المدينة ليكثر الحديث فى عمال عثمان وتنتشر الشائعات فتتأثر النفوس ويزيد السخط .

٣ - المنطلق الإيمانى :-

وكان مدخلا لعبد الله بن سبأ إلى نفوس بعض كبار الصحابة ممن عرف عنهم حبهم للعدل والخير وحرصهم على الحق .. جاء عبد الله بن سبأ إلى أبى ذر بالشام ، فقال : يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول المال مال الله ألا أن كل شئ لله كأنه يريد أن يحتجبه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا أبا ذر . ألسنا عباد الله والمال ماله .. والخلق خلقه . والأمر أمره .. قال فلا تقله قال فأتى لا أقول إنه ليس لله . ولكن سأقول مال المسلمين .. ثم أتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له أبو الدرداء من أنت أظنك يهوديا .. ثم أتى عبادة بن الصامت فتعلق به وأتى به معاوية فقال

هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر ثم أقام أبو ذر بالشام وجعل يقول يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس . فكتب معاوية الى عثمان بذلك ، فأمره عثمان أن يجهز أبا ذر فأرسله .. فلما قدم عليه ورأى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار . ولما دخل على عثمان قال يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما على وأخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الإقتصاد والزهد .. وكان هذا رأى متمكا من أبى ذر وقد وجد الخليفة أنه رأى قاتل فأمر أبا ذر أن يخرج الى الريدة فيقيم بها .. ويقال ان أبا ذر هو الذى طلب منه ذلك فسيره وأجرى عليه رزقا (٢٠) .

وعندما اطمأن عبد الله بن سبأ الى وجود أنصار له فى الأمصار المختلفة بدأ خطة العمل التنفيذى على قاعدتين :-

(أ) الاغراق الدعائى .

(ب) المبادرة بالفعل .

أولا الإغراق الدعائى :-

وكان هدفه من أسلوب الاغراق الدعائى هو الوصول بأفكاره الى الأمصار الإسلامية المختلفة ، والإبقاء على روح التذمر والسخط واستمرارها قائمة الى اللحظة التى تتحول فيها الى سخط عام وثورة عارمة مدمرة .

ولتحقيق سياسة الإغراق " كان أتباعه فى كل مصر يكتبون الى المصر الآخر بما عندهم فيقرأ كتابهم على العامة علنا فيستغيثون بالله مما حل بأهل ذلك المصر . ومن ذلك المصر ترسل الكتب الى المصر الأول فتقرأ على العامة فيستغيثون بالله مما حل بأخوانهم ويقولون نحن فى عافية ممن ابتلى به هؤلاء الناس .. حتى أمكنهم

أن يوغروا صدور العامة التي تجتمع عليهم . وليس لما يكتبون
صحة " (٣١) . وكانت هذه الكتب تصل المدينة مما أدى الى ضجر
الناس وفشو القالة حتى تأثرت أيضا نفوس الكثير منهم " (٣٢) .

ونتيجة لهذه الدعاية المدبرة ولسياسة الإغراق الدعائي التي
خطط لها وأشرف على تنفيذها عبد الله بن سبا .. ونتيجة لاعتماد
عثمان بن عفان رضوان الله عليه في مواجهته لهذه الدعاية على
الإعلام . حيث قدم الحقائق فقط ، والمعلومات الصحيحة .. وبين
وجهة نظره واعتمد على حسن إدراك الناس ونكاتهم في تقدير هذه
الحقائق وفهمها .. بعد أن قدمها لهم وأعقب ذلك بشرحها وتفسيرها
واعتقد أن ذلك كاف ونتيجة لهذا تفجر الصراع واستمر .

أما موقف الناس من عثمان فكان كما يلي :- " جميع
المهاجرين كانوا خصوما لعثمان (ماعدا حاشيته) وكذلك جميع
الأنصار كانوا أعداء ماعدا بضعة نفر منهم زيد بن ثابت وحسان بن
ثابت وكعب بن مالك وأبو أسيد الأنصاري ، ثم إن معظم أهل
الأمصار كانوا مع خصوم عثمان وخصوصا في مصر والكوفة
والبصرة ، وبرر هؤلاء سخطهم على عثمان بأنهم لم ينتخبوه ،
وإنما انتخبه نفر من المهاجرين (رجال الشورى الذين عينهم عمر
بن الخطاب) استبدوا الأمر دون جميع الناس ونقم على عثمان نفر
من رؤوس أهل المدينة كما نقم عليه على وطلحة والزبير رضوان
الله عليهم لأنهم كانوا يطمحون الى الخلافة ففاز عثمان رضى الله
عنه بها دونهم ، ونقمت عليه السيدة عائشة رضوان الله عليها
لأنها كانت تريد الخلافة لأخيها محمد .. وكان من المنتظر أن يخف
معاوية لنصرة عثمان وهو نسيبه ووليه فلم يفعل .. كان معاوية
يطمح في الخلافة ولم يكن يرجو أن يصل إليها إلا إذا زحزح عثمان
عنها " (٣٣) .

أما بالنسبة لخطة عثمان رضوان الله عليه في مواجهة هذا
الدعاية فتتخلص فيما يلي :-

١. " أمسك بزعماء أهل الكوفة من الذين أظهروا النقد والطعن عليه
وعلى سعيد بن العاص وأخرجهم من الكوفة إلى الشام ليبعدهم عن
مصرهم ويتخلص من شرهم . وعلى رأسهم الأشتر بن مالك بن

الحارث النخعي" (٣٤) . وكان رأى أهل الكوفة فى عثمان كما صورته الأئسر فى رسالته قال " من مالك بن الحارث الى الخليفة المبلى الخاطى الحاند عن سنة نبية النابذ لحكم القرآن وراء ظهره (٣٥) .

٢. سير عثمان مندوبين عنه الى الأمصار لاستقاء أخبارهم ومعرفة ما يحدث فيها . " فسير محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن زيد الى البصرة وعبد الله بن عمر الى الشام . وعمار بن ياسر الى مصر . فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم . أما عمار فقد ورد الى عثمان كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سرح أمير مصر يخبره فيها أنه قد استماله قومه بمصر . واتقطعوا إليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمزان وكناية بن بشر " (٣٦).

٣. أرسل عثمان فى طلب ولاته ليجتمع بهم لعله يجد سبيلا لتمكين سلطانه وإيقاف ذلك التيار الذى يوشك أن يجرف كل ما يعترضه .. وينفض اجتماع الخليفة بعماله دون أن يتخذوا قرارا معينا لوقف هذه الأحداث.

٤. الاستجابة لمطالب الأمصار . فقد أرسل الى أهل الكوفة كتابا محاولا استرضاءهم قال فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد .. فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لأقرشكنكم عرضى ولأبذلن لكم صبرى ولأستصلحنكم بجهودى فلا تدعوا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه أنزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم على حجة " وأرسلت نسخ من هذا الكتاب الى الأمصار " (٣٧) .

٥. استرضاء زعماء المعارضة وخاصة محمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر وكاتا من أشد المعارضين له .. بالمال .. ولكن أحدهما لم يرض بذلك بحال من الأحوال .. بل أن محمد ابن أبى حذيفة أخذ الكسوة التى بعث إليه بها وقال للحاضرين من المسلمين " انظروا الى عثمان كيف يريد أن يخدعنى عن دينى بهذه الكسوة " (٣٨) .

ثانيا : قاعدة المبادرة بالعمل :-

وبعد أن حقق ابن سبأ ما كان يرمى إليه من تأليب الولايات الإسلامية على عثمان وولائه وانضمام كثير من أصحاب النفوذ والجاه إلى صفوفه وكان لكل منهم أهدافه الخاصة به قام بتنفيذ خطته " وكاتب أهل مصر أشياعهم من أهل البصرة والكوفة واتفقوا على الشخوص إلى المدينة .. وخرج كل منهم في ستمائة رجل توافوا خارج المدينة حيث اختلفوا فيمن يولونه الخلافة بعد عثمان فمال أهل البصرة إلى الزبير وأهل الكوفة إلى طلحة ورغب أهل مصر وعلى رأسهم ابن سبأ في علي بن أبي طالب وعمل كل فريق على أن يتم الأمر لمن وقع عليه اختيارهم دون غيره " (٢٩) .

وفي شوال من سنة ٣٥هـ (نيسان ٦٥٦) جاءت وفود الأمصار إلى المدينة تتظاهر بطلب الإصلاح . وكان أشد الوفود نقمة وفد مصر .. وعلى الرغم من محاولة عثمان احتواء الأئمة وإرضاء وفد مصر بتوليته محمد بن أبي بكر عليها . إلا أن الأمور تطورت وخرجت من يده وخاصة بعد أن اكتشف وفد مصر وهم في طريق العودة كتابا إلى عبد الله بن أبي سرح مختوما بخاتم عثمان يوعز فيه إليه بقتل محمد بن أبي بكر إذا وصل مصر .. فعادوا وحاصروا الخليفة واستمر حصارهم له أربعين يوما وفي ١٨ من ذي الحجة من سنة ٣٥هـ تسور القوم عليه الجدار وقتلوه (٤٠) .

وبويع على بن أبي طالب بالخلافة وكان كارها (٤١) لذلك . وببيعة على تحولت الدعاية السبئية من معارضة السلطة إلى التشيع لها وعلى رأسها علي .. ووصلوا إلى درجة المغالاة حتى روى أن عبد الله بن سبأ قال لأمير المؤمنين علي : أنت الإله حقا .. فأحرق من اتباعه خلقا كثيرا وكره حرقه مخافة الفتنة كما أشار عليه عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما .. وبذلك كان التشيع مدخلا جديدا للسبئية استهدفت منه تحقيق باقي أهدافها لمزج الدين الإسلامي بالعقيدة اليهودية ونشر الأفكار اليهودية والترويج لها .. وغرس الحقد والضغينة في قلوب المسلمين ضد الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة وذلك لاستمرار الفتن والتناحر بين صفوف المسلمين

فينشغلوا بذلك عن الفتوحات الإسلامية وعن التمكين للإسلام في الأرض.

أهداف الدعاية السبئية :-

استهدفت الدعاية السياسية لعبد الله بن سبأ من خلال هذا النشاط المشبوه الذى قاموا به تحقيق الأهداف الآتية :-

١. دس الفتنة بين المسلمين والتأمر على الخليفة الثالث عثمان بن عفان وشق عصا الطاعة له حتى يقع الحرج والمرج وتنقطع فتوحات الإسلام وينشغل المسلمون ببعضهم .

٢. غرس الحقد والضغينة فى قلوب الناس ضد أبى بكر وعمر وباقى الصحابة وخاصة من العشرة المبشرين بالجنة حتى لا يبقى للمسلمين تاريخ يمجّدونه ورجال يفتخرون بهم ومثل عليا يقتدون بها .

٣. تكفير الصحابة كلهم سوى المعدودين منهم حتى لا يبقى الاعتماد والعمدة حيث أن أصحاب النبى الذين سمعوا من رسول الله القرآن وحملوه منه ورأوا رسول الله يشرحه ويفسره ويبينه بقوله وعمله كانوا كفرة مرتدين بزعمهم .

٤. ترويج العقيدة اليهودية التى تقول بالوصاية والولاية بين المسلمين ليقتتلوا فيما بينهم حول الامامة أو الخلافة .

٥. نشر الأفكار اليهودية كالرجعة وعدم الموت وملك الأرض والقدرة على أشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق والعلم بما لا يعلم أحد .

أما قوى المعارضة الأخرى فقد أنحصر هدفها إما فى الرغبة فى الولاية كمحمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة أو الخلاف مثل طلحة والزبير بن العوام أو فى الرغبة فى استتباب الأمور وعودتها إلى ما كانت عليه على عهد أبى بكر وعمر .

وانتهت هذه المرحلة من تاريخ الدعاية بمقتل عثمان رضوان الله عليه .. وبإيعاد الناس عليا بالخلافة فأخذت الدعاية السبئية شكلا آخر لتحقيق هدفها وهو التشيع لعلى رضوان الله عليه .. والمبالغة فى

ذلك حتى درجة ادعاء النبوة ثم ادعاء الألوهية له وذلك ليفتتن الناس به .

معاوية والدعاية ضد علي :-

بولاية علي رضوان الله عليه للخلافة " انتقل زمام الدعاية السياسية إلى معاوية . وكان معاوية يعد لنظام جديد هو نظام الملك الدنيوي .. وكان أنصاره طلاب دنيا ومال وجاه وكتاتوا يسمعون الحق كما يسمعون الباطل ولا يفرقون بينهما " وكتاتوا لا يعرفون غير الطاعة العمياء لمعاوية بن أبي سفيان : ولا يجيزون الا ما أجازوه ولا يميزون معه بين ناقة وجمل " (١٧) .

ولقد أطمع معاوية في الخلافة أنه ظل حاكما للشام فترة طويلة وأنه كان أثيرا عندهم عظيم النفوذ . فقد ساسهم بالرفق ووسع عليهم في الأعطيات والهبات وكان أعوانه من بنى أمية ليسوا قلة . فقد تولى معاوية دمشق لعمر بن الخطاب ثم ضم إليه عمر ولاية الأردن لما مات أخوه يزيد بن أبي سفيان ومازال يليهما معاوية حتى جاء عثمان فأقره عليهما ثم ضم إليه ولاية فلسطين بعد موت واليها وولاه حمص لما استعفى واليها . وبهذا صارت الشام كلها في أمرة معاوية . وكان نجم معاوية صاعدا فظل عهده بالشام مدة عمر ومدة عثمان .. وكان معاوية سياسيا موهوبا عطف على أهل الشام ورضى عن سياسته الخليفتان فلم يفكر أحدهما في عزله ولم يخش هو أن يعزل وبخاصة في عهد عثمان إذ كان الولاة كثيرا ما يولون ويعزلون وليس أدل على محبة الشاميين لمعاوية من أنهم ناصروه على علي .. ولم يشترك واحد منهم في الثورة على عثمان أو محاصرة داره أو المشاركة في قتله .

وقد استخدم معاوية الأموال في دعايته ضد علي بذلها لجذب الأنصار وجعل يطالب بدم عثمان ويحمل عليا جريمة مصرعه وينادي بأنه قريب عثمان وولي دمه وقد قتله الثوار مظلوما فلا بد أن يثار من قاتليه .

" وكان الشعار الذي اتخذ معاوية عنوانا على سياسته وهاديا له في دعايته ضد علي .. للوصول إلى الحق ينبغى أن نخوض كثيرا من

الباطل.. ومثل هذه الكلمة لا يمكن أن تصدر عن علي لأن عليا لا يعرف غير الحق أو ما يعتقد أنه حق ولا يسلك طريقا غيره " (١٣) .

ولذلك وجدنا الإعلام وسيلة الامام على أما الدعاية فكانت وسيلة معاوية .. والإعلام ليس له سوى طريق واحد هو الصدق ، أما الدعاية فطريقها أحيانا الصدق والكذب أحيانا أخرى بمعنى آخر كما قال معاوية " للوصول إلى الحق ينبغي أن نخوض كثيرا من الباطل "

ولهذا السبب بنى معاوية سياسته على الطعن في أعدائه وعلى رأسهم علي بن أبي طالب في حين أن عليا كان لا يرضى لنفسه ولا يرضى له دينه وخلقه أن يبنى سياسته الإعلامية على الطعن في أعدائه بنفس الطريقة التي سلكها معاوية .

حدث أن عليا سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام ممن اشتركوا في واقعة صفين فقال لهؤلاء : " إني أكره أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتهم ما لهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقتلتم مكان سبكم إياهم .. اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم وأهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله .

كما استخدم معاوية أيضا الأحاديث النبوية في دعايته ضد علي ولجأ إلى تفسير آيات القرآن تفسيرا يسيئ إلى سمعة علي والتي سننتعرض لها في الفصل الخاص بذلك.. فإن معاوية قد أعطى اهتماما خاصا لأسلوب الشائعات .. والمتأمل لكتب التاريخ يجد أن معاوية أشاع عن الإمام على صفات غير حقيقية وأخذ به عيوب ليست فيه .

وقد استغل معاوية جهل الرعية في زمانه إذ كان العلم في الشام حيث الأعوان الملتفون بمعاوية أقل منه في الحجاز حيث كبار الصحابة وأبناء الصحابة الذين تألف منهم حزب علي .

والدعاية ولو كانت قائمة على الباطل في بعض الأحيان لها من التأثير على بعض النفوس والقدرة على قلب النظم والأوضاع ما للإعلام برغم أنه قائم على الحق . وعلى الحق وحده قبل كل شيء .

صحيح أن الإعلام من أمضى الأسلحة في مقاومة الدعاية. والإعلام وهو وحده القادر على إسكات الدعاية وذلك بالكشف عما فيها من الكذب والزيف عن الحقائق والبعد عن الصحة ومخالفة الواقع، لكن الإعلام في هذه الحالة لابد من أن يبذل له جهود كبيرة أضعاف ما تبذله الدعاية .. وبغير ذلك تكون الغلبة في النهاية للدعاية .. وهذا هو الموقف الحرج الذي وقفه الإمام على من معاوية بن أبي سفيان

كان الإمام محوطا يقوم من أصحابه يعرفون أن لهم حقا في مناقشته الحساب في كل شئ وكانوا قلما يطيعونه في شئ في حين أن معاوية كان محوطا يقوم من أتباعه . وبلغ من أمر طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرته إلى صفين صلاة الجمعة يوم الأربعاء (٤١) .

الدعاية وتأسيس الملك في بني أمية :-

تولى معاوية الخلافة بعد مقتل الإمام على بن أبي طالب وتنازل الحسن له عن الخلافة في ربيع الأول سنة ٤١ هـ (٦٦١م) وانتهت بذلك مرحلة من مراحل الصراع السياسي والدعاية وابتدأت مرحلة جديدة أشرس من سابقتها وأكثر عنفا وذلك للأسباب الآتية :-

١. أمن الأمويون بالدعاية وقدرتها . وكانوا على يقين من الدور الذي لعبته في الوصول بمعاوية إلى سدة الحكم .. ولذلك وضعوا سياستهم لإبقاء بالحكم في أيديهم مع ضرورة التفوق الدعائي .. وأعانهم على ذلك أنهم بحكم ممارستهم لفنونها وأساليبها ووسائلها أصبحوا خبراء في ميادينها .

٢. تبلور الأحزاب السياسية القائمة وظهور أحزاب جديدة تصارعت حول قضية الخلافة وخاصة بعد أن جعلها معاوية ملكية في مظهرها ونظامها .. فعادت الفتن وتأججت نيرانها واشتعلت الحروب بين الأحزاب المتصارعة على الخلافة ونشطت الدعاية السياسية للأحزاب. كل يسعى إلى تأكيد سلطانه وبسط نفوذه واجتذاب الأنصار والأشباع .

٣. احتياج معاوية وخلفائه إلى أن يبذلوا للناس سياستهم ويقنعوهم بها إذ كانت نفوس المحكومين في قلق دائم مستمر وميل للخارجين ،

فكان الخلفاء وأتباعهم يبينون حكمهم وعدالتهم وإحسانهم للناس إن أسلسوا القتياد وأخلصوا ، ويهددون وينذرون من يخرج أو يحيد عن الجادة .

وتتميز الدعاية السياسية في هذه المرحلة بوضوح فلسفتها وأهدافها ووسائلها وأساليبها في أذهان الموجهين لها .. واجتماع خيوطها في قبضة الخلفاء أو الزعماء الموجهين للأحزاب المعارضة وارتباطها بالأفكار والتصورات الخاصة بكل حزب من الأحزاب السياسية المتصارعة كما أنها ارتبطت قوة وضعفا بشخصية الخلفاء والزعماء وبقوة الدولة .

وكان ضعف الدعاية الأموية اذانا بانقضاء العهد الأموي . وخاصة عندما اعتمدت فقط على القوة العسكرية وذلك في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وعندما أيضا اتجهت الحركة العباسية إلى السرية والتنظيم في العمل والتي أنمّرت عنها الخلافة العباسية .

وبذلك انتهت المرحلة الثالثة من تاريخ الدعاية السياسية في الإسلام وبدأت مرحلة جديدة رابعة على يد العباسيين .

هوامش الباب الثاني

- (١) المرجع السابق : ص ٣١ - ٣٢ .
- (٢) د. محمد منير حجاب :- نظريات الإعلام الإسلامي . الهيئة المصرية لعامة للكتاب - الإسكندرية - ١٩٨٢ .
- (٣) د. محمد منير حجاب :- مبادئ الإعلام الإسلامي - المطبعة العصرية الإسكندرية - ١٩٨٢ .
- (٤) د. محمد مصطفى شحاته ، د. حسن الشاذلي :- العلاقات الدولية - محاضرات في الفقه الإسلامي . دار الهدى - القاهرة - ١٩٨٠ ص ١٨-٣٧
- (٥) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون :- ٨٠٨ / ١٤٠٥ : ١٤٠٦ - المقدمة - مصر ١٣١١هـ . ص ٣٢٨ .
- (٦) د. جلال الدين السيوطي - المتوفى ٩١١هـ ، تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - بدون ناشر - بدون تاريخ - ص ٢٠٦ .
- (٧) د. ابن الأثير :- علي بن أحمد بن الكرم - ٦٣٠ - ١٢٧٤ - الكامل في التاريخ ج٣ بلاي ١٢٧٤ ص ١٩٩ .
- (٨) د. جلال الدين السيوطي :- مرجع سابق ص ١٩٢ .
- (٩) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام له تاريخه ومذاهبه - دار الفكر العربي القاهرة - ١٩٦٥ ص ٨٥ .
- (١٠) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام في صدر الإسلام - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧١ ص ١٩٨ .
- (١١) د. سيد عبد العزيز سالم :- تاريخ الدولة العربية - دار النهضة العربية -
- (١٢) د. عبد الرحمن بن خلدون :- مرجع سابق ص ٣٢٨ : ٣٣٠ .
- (١٣) سيد أمير علي :- مختصر تاريخ العرب ترجمة عفيفي البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت ط٤ - ١٩٨١ - ص ١٧٨ .
- (١٤) عبد الرحمن بن خلدون :- مرجع سابق ص ٥٤٨ .
- (١٥) عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام - دار الشرق - بيروت - ط٣ - ١٩٨٤ . ص ٦٦ - ٦٧ .
- (١٦) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام في صدر الإسلام ص ١٩٧ .
- (١٧) سيد أمير علي :- مرجع سابق ص ١٧٨ - ١٧٩ .
- (١٨) د. سيد عبد العزيز سالم :- مرجع سابق ص ٦١٤ - ٦١٥ .
- (١٩) ابن قتيبة - أبو محمد عبد الله بن مسلم - ٣٧٦ - ٨٨٩) - عيون الأخبار ج١ ص ٥ .
- (٢٠) الشيخ محمد الخضري :- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة الأموية ج٤ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

- (٢١) اليعقوبى :- (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب / ٢٨٢ / ٨٩٥)
تاريخ اليعقوبى - مطبعة النجف - العراق ١٣٥٨ ج٢ ص ٢٧٦ .
- (٢٢) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٨٨ - ٩١ .
أيضا * * :- الإعلام والدعاية ص ١١٨ - ١١٩ .
- (٢٣) اليعقوبى :- مرجع سابق ج٢ ص ٢٨٣ .
- (٢٤) جلال الدين السيوطى :- مرجع سابق ص ٢٠٠ .
- (٢٥) المرجع السابق :- ٢١٨ - ٢١٩ .
- (٢٦) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام والدعاية ص ١٧٠ .
- (٢٧) المرجع السابق :- ٢٠٢ .
- (٢٨) الشيخ محمد الخضرى :- مرجع سابق ص ٣٧ - ٤٥ ج٢ .
- (٢٩) المرجع السابق :- ص ٣٥ - ٣٦ .
- (٣٠) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام فى صدر الإسلام ص ٢٤٥ .
- (٣١) الشيخ محمد الخضرى :- مرجع سابق ج٢ ص ٣٦ .
- (٣٢) المرجع السابق ج٢ ص ٤٥ .
- (٣٣) المرجع السابق ج٢ ص ٣٧ .
- (٣٤) د. عمر فروخ :- تاريخ صدر الإسلام ص ١١٨ - ١١٩ .
- (٣٥) البلاذرى :- أنساب الأشراف ج٥ ص ٤٣ .
- (٣٦) لبلاذرى :- أنساب الأشراف ج٥ ص ٤٦ .
- (٣٧) الشيخ محمد الخضرى :- مرجع سابق ص ٣٥ - ٣٦ .
- (٣٨) الطبرى :- الأمم والملوك ج٥ ص ٩٦ .
- (٣٩) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام فى صدر الإسلام ص ٢٤٦ .
- (٤٠) د. حسن إبراهيم حسن :- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والنقافى والاجتماعى بدون ناشر - بدون تاريخ ج١ ص ٣٦٢ .
- (٤١) د. عمر فروخ :- مرجع سابق ص ١١٨ - ١١٩ .
- (٤٢) الطبرى :- الأمم والملوك ج٥ ص ١٥٢ .
- (٤٣) د. عبد اللطيف حمزة :- مرجع سابق ص ٢٥٣ .
- (٤٤) المرجع السابق :- ص ٢٥٨ .
- (٤٥) المرجع السابق :- ص ٢٥٩ - ٢٦٣ .